الياس خوري

وجـــه الشـــرق

حين نبحث عن وجه بيروت ، يخرج من الركام وجه الشرق ، الالام . الاوجاع ، الموت ، لحظـات الشهادة ، تطلع على وجه المياه ، وكأن البداية القادمة على رؤوس الاسنة والاصابع ترسم وجه الشرق . نعرف وجه الشرق القادم كأعصار يقتلع تلك المساومة الرديئة بين وجه الفقراء ووجوه المرتزقة . فالاعصار كان كبيرا ، طوفان معركة قديمة موسومة على جباهنا قبل ان تبدأ . وعندما بدأت احسسنا وكأننا ولدنا فيها . نسينا طعم بيروت ونحن نحمل اجساد اصدقائنا المضرجة بالتراب . واندفعنا ، لنشكل نحن ، اعصار الحياة القادمة فـي لحظة التفاصيل والموت .

تقع بيروت على الشاطيء الشرقي للمتوسـط . مدينة لها رائحة ككل المدن التي نعرفها . لكنها كانـت تتلوى على الارض ، امرأة حملت في احشائها اوجاع ولادة لـم تتم .

نعرفها ، بيروت ، مرسومة في الشرق بلا اجنحة . نعرف مدخلها الشرقي ، حيث الاصوات تشبه اوراق التبغ ، وحيث البحر ملوحة ترتطم بالاسماك الملونة .
نعرف كيف كانت خاصرتها تنفجر بين اكواخ التنك المسقوفة بالمطر والتحدي ، وهي تستقبل اقدامهم تدوس الرجال الذين يحملون في جيوبهم احلامـا تتوالد بـين اهدابهم المغمضة .

نعرف بيروت ، وهي تحرق جلدها القديم ، ونعرف ان الحريق لم يكن مدخلا للموت او بابا لنصر رخيص تنتزعه المدينة الجديدة وهي تمـوت . كانت بيـروت تحترق ، لان وجه الشرق ، كان ينبت من الحرائـق ، جديدا ، يحمل كل تاريخ العرب في لحظـة الحقيقـة الدمويـة .

لم تحترق بيروت . خاصرتها التي انفجـرت ، حين ولدت الاسنة والاسلحة والاصابع التي تتحدى ، كانت لحظة استعادة لوجه الشرق القـادم ، لاعاصـير الصحراء التي تلفح الوجوه وهي تتقدم على انقاضـ حضارات الارغفة المزيفة المحشوة بالقش . داخـل الرياح كان وجه الاطفال ارغفة حياة لا يستحقهـا الا الذين اتوا وعلى ثيابهم الوان التراب ، وفي جيوبهم صوت الشرق الجديد .

نصمت ، ونحن داخل اللهب ، لنكتشف ان النصر ليس في بيروت . لان بيروت التي كانت لحظـة توازن امام الرعب ، اصبحت لحظة توازن في الرعب .

نصمت ، لنكتشف ان بيروت التـي تهدمت لا تستحق الرثاء ولا تستحق الكتابة .
نصمت ، لنكتشف ان مجدا جديدا ينتظرنا فـي المدخل الشرقي لبيروت ، حيث كانت النهاية مجـرد تجربة لقدرتنا على الموت .

ونكتشف معا ، ان ما حلمنا به قبل الانفجار ، كان اصغر من الانفجار نفسه . ان ما كتبناه عن الشعب وما قرأناه عن الشعب ، كان اصغر من الشعب .
فعلـى مفترق الاف البنادق ، كان الزمـن لحظة تفاصيل البحث عن وجه البداية . وكان الرجال يحملون على صدورهم شارة الموت ، وهم يتقدمون الى الابنية ، يزرعون على الارصفة والاسفلت اشارات بداية لم تأت في بيروت ، بل حملت في بيروت راية المستقبل .

وحملنا على اكتافنا نيران الحقد الابيض . حقـد الذين قتلوا وهم ينظرون الى البحر ، يحملونه في عيونهم ويغادرون . ورسمنا قوسا من الرغبات التي لا يصنعها سوى ممارسة حرب الشعب ، حيث الايدي غير الايدي والارادات غير الارادات . حيث يأتي المجد وكأنه مجرد لحظات نعيشها كما عشنا بيروت القديمة التي قتلهـا المستقبـل .

على مفترق الحصار ، تخرج ملايين الايدي ، لتحمل ملايين البنادق ، وتبدأ المسيرة الطويلة الـى الكبريـاء القادمة في عروقنا . تخرج الاسئلة من الاجوبة ، في حركة اللحظات المتداخلة . حيث يسقط العالـم ، وينبت العالم . تتجمع الحجارة من الوديان والساحات ، لتبني على التساهدة ، صورة ولادة الكلمات التي لن تكتب .
نطلع من الحرب نباتات برية ، لندخل في الحرب ، نحن ريح الشرق القادم . نحن المحاصرين بالمـوت ، تجرحنا الكبرياء .. يضعنا المستقبل في لهب بداية الذي يبـدأ .

« فلسطين الثورة » البيروتية
٧ شباط ١٩٧٦